أولا: أنواع الاستطالة.

قد تطول الجملة من خلال عناصرها المؤسسة نفسها، وذلك إذا كانت العناصر الإفرادية مكونة من مركبات وقد تطول عن طريق العناصر غير الإسنادية بعضها يطلبه الفعل وبعضه يطلبه الاسم.[1]

وطول الجملة: يساوي الوحدات التركيبية التي تتألف الجملة منها، وهذه التسمية (طول الجملة) نسبية بالنظر إلى طول جملة أخرى.[2]

ويذكر د. محمد حماسة إلى أن صور استطالة الجملة هي: (طول التقيد – طول التبعية – طول التعاقب- طول التعدد- طول الترتيب- طول الاعتراض)، [3] ويذهب د. محمد إبراهيم عبادة إلى أن الجملة تستطيل بطرق عدة هي[4]:

1- الامتداد: والجملة الممتدة هي الجملة المكونة من مركب إسنادي واحد وما يتعلق بعنصريه أو بأحدهما من مفردات أو مركبات غير إسنادية.
2- التعدد: ويقصد بها الجمل المتتابعة بحرف عطف وكل منها مستقل عن الآخر وجمله الطلب وجوابه
3- الجملة المركبة: وهي الجملة المترابطة في الأساليب مثل: القسم وجوابه، جملة الشرط وجوابه، الظروف المفتقرة إلى جمل بعدها، الجملة المحتوية على« حتى، أو » الغائيتين أو « إلى، أن، أو» و «كي» التعليلية، ولام التعليل وفاء السببية، وأسلوب الاستثناء، والاستدراك بلكن والجملة المحتوية على «كأنما» أو «كما».
4- الجملة المتداخلة:وهي المكونة من مركبين إسناديين بينهما تداخل تركيبي ومن صوره: جملة الخبر، والمصدر المؤول الواقع مبتدأ أو فاعلا، أو مفعولاً به، وجملة مقول القول، والاعتراضية.

واذكر هنا الأنواع التي اخترتها لاستطالة الجملة وقد قسمتها إلى ثلاثة أقسام:-

1- الاستطالة بالتداخل:

وأكثر ما تكون في الجملة الاسمية أو ما أصله كذلك، وأعني بها دخول جملة في بناء جملة أخرى، وتشمل الجمل الواقعة خبرا أو مضافة إلى ظرف مفتقر إليها، أو صلة الموصول أو المصدر المؤول الواقع مبتدأ أو خبرا، والجملة الاعتراضية.

2- الاستطالة الممتدة:

وهذه الاستطالة لا تكون بدخول جملة في بناء جملة أخرى وإنما تكون من الجار والمجرور، أو الظرف والمضاف إليه، والفعل ومتعلقاته، والوصف العامل ومتعلقاته، وكذلك العناصر التي تأتي تقيدا للجملة مثل: الحال والنعت والتمييز والبدل، وكل ذلك يؤدي إلى امتداد الجملة.

---

(1) في بناء الجملة (76، 80).
(2) دليل الدراسات الأسلوبية (42).
(3) في بناء الجملة (76 – 113).
(4) الجملة العربية مكوناتها وأنواعها وتحليلها (136 – 147).

أولا: أنواع الاستطالة.

قد تطول الجملة من خلال عناصرها المؤسسة نفسها، وذلك إذا كانت العناصر الإفرادية مكونة من مركبات وقد تطول عن طريق العناصر غير الإسنادية بعضها يطلبه الفعل وبعضه يطلبه الاسم.[1]

وطول الجملة: يساوي الوحدات التركيبية التي تتألف الجملة منها، وهذه التسمية (طول الجملة) نسبية بالنظر إلى طول جملة أخرى. [2]

ويذكر د. محمد حماسة إلى أن صور استطالة الجملة هي: (طول التقيد – طول التبعية – طول التعاقب- طول التعدد- طول الترتيب- طول الاعتراض)، [3] ويذهب د. محمد إبراهيم عبادة إلى أن الجملة تستطيل بطرق عدة هي[4]:

1- الامتداد: والجملة الممتدة هي الجملة المكونة من مركب إسنادي واحد وما يتعلق بعنصريه أو بأحدهما من مفردات أو مركبات غير إسنادية.
2- التعدد: ويقصد بها الجمل المتتابعة بحرف عطف وكل منها مستقل عن الآخر وجمله الطلب وجوابه
3- الجملة المركبة: وهي الجملة المترابطة في الأساليب مثل: القسم وجوابه، جملة الشرط وجوابه، الظروف المفتقرة إلى جمل بعدها، الجملة المحتوية على« حتى، أو » الغائيتين أو « إلى، أن، أو» و «كي» التعليلية، ولام التعليل وفاء السببية، وأسلوب الاستثناء، والاستدراك بلكن والجملة المحتوية على «كأنما» أو «كما».
4- الجملة المتداخلة:وهي المكونة من مركبين إسناديين بينهما تداخل تركيبي ومن صوره: جملة الخبر، والمصدر المؤول الواقع مبتدأ أو فاعلا، أو مفعولاً به، وجملة مقول القول، والاعتراضية.

واذكر هنا الأنواع التي اخترتها لاستطالة الجملة وقد قسمتها إلى ثلاثة أقسام:-

1- الاستطالة بالتداخل:

وأكثر ما تكون في الجملة الاسمية أو ما أصله كذلك، وأعني بها دخول جملة في بناء جملة أخرى، وتشمل الجمل الواقعة خبرا أو مضافة إلى ظرف مفتقر إليها، أو صلة الموصول أو المصدر المؤول الواقع مبتدأ أو خبرا، والجملة الاعتراضية.

2- الاستطالة الممتدة:

وهذه الاستطالة لا تكون بدخول جملة في بناء جملة أخرى وإنما تكون من الجار والمجرور، أو الظرف والمضاف إليه، والفعل ومتعلقاته، والوصف العامل ومتعلقاته، وكذلك العناصر التي تأتي تقيدا للجملة مثل: الحال والنعت والتمييز والبدل، وكل ذلك يؤدي إلى امتداد الجملة.

---

(1) في بناء الجملة (76، 80).
(2) دليل الدراسات الأسلوبية (42).
(3) في بناء الجملة (76 – 113).
(4) الجملة العربية مكوناتها وأنواعها وتحليلها (136 – 147).

والاستطالة الممتدة في أغلبها تكون تقييدا للاسم أو الفعل، وقد يكون هناك تعدد في عنصر من عناصر الاستطالة الممتدة في الجملة مثل النعت أو الخبر أو المضاف إليه.

3- الاستطالة المركبة:

وهذه الاستطالة تكون بين جملتين أو أكثر ركبتا تركيبا أسلوبيا مثل: جملة الشرط وجوابه، والقسم وجوابه، والطلب وجوابه، وأسلوب التعليل والسبب، والمفاجأة «بينما وبينا»، والجمل المترابطة بـ«كُلَّما وعندما وطالما»، وغيرها من الأدوات التي تربط بين جملتين أو أكثر في أسلوب واحد وكلام تام.

ثانيا: الاستطالة والمعنى.

لا شك أن الموقف الكلامي والحدث الذي يعيشه المتكلم يلقي بظلاله على بناء الجملة، وكذلك المعاني المقصودة من الكلام، فقد يلتزم المتكلم ببناء معين عند موقف بعينه وهذا البناء قد يطول، وتكون تلك الاستطالة لها فوائد تعود إلى المعنى ومنها:

1- إتمام الفائدة:

قد لا تتم الفائدة بالعنصرين الرئيسين في الجملة الاسمية (المبتدأ و الخبر)، وإن كان ذلك الأصل الغالب فقد تتم في بعض الأحيان بمساعدة لفظ آخر يتصل بـ«الخبر» بنوع من أنواع الاتصال، كالنعت في قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [1]، وقول الشاعر:

نقـــــول فَيُرضِـــــى قولُنـــــا كـــــلَّ ســـــامع

ونحـــــن أنـــــاسٌ نُحسِـــــنُ القـــــولَ والفعـــــلا[2]

«فالذي تمم الفائدة الأساسية هو النعت لا الخبر، لأنَّ معنى الخبر معلوم بداهة في الأمثلة السابقة من دلالة الضمير على المتكلم أو المخاطب، فكلاهما قد دل بذاته وصيغته المباشرة علي حقيقة صاحبه فهذا الخبر من النوع الذي يكمل هو وتابعه مجتمعين الفائدة الأساسية مع المبتدأ.»[3]

2- تصوير الحدث:

قد يلجأ المتكلم إلى إضفاء روح الحيوية، وتصوير الحدث في كلامه وإلى التفصيل أيضا، وهذا هو الحاصل في السيرة؛ لأن السيرة سرد أحداث ومواقف، وهذه الأحداث والمواقف أغلبها يحتاج إلى تصوير وتفصيل ومن هنا جاءت أغلب الجمل في السيرة النبوية مستطيلة لأن «الجملة كلّما طالت نزعت إلى التصوير.»[4]

3- القصد في الحديث:

---

(1) الشعراء (166).
(2) لم أقف على قائله، وذكره عباس حسن، انظر النحو الوافي، م (33)، (443/1).
(3) النحو الوافي (444/1).
(4) في بناء الجملة (431).

المتحدث قد يقصد في كلامه فائدة ما، وهذه الفائدة لا يقتصر على أدائها الركنان الأساسيان في الجملة، فقد يحتاج المتكلم إلى عنصر آخر يقصده في كلامه، ففي قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾، [1] لم تتم الفائدة إلا بذكر الحال، وهو «لاعبين» ولو لم يكن في الجملة لتغير معنى الجملة، وأصبح لها معنى آخر ليس هو المقصود أصلا.

4- توسيع المعاني وتوليدها:

من المعروف أن زيادة المبنى تزيد في المعنى؛ ولذلك إذا طالت الجملة فإن معناها يزداد، فالمبنى كلما زاد على جزئي الجملة يكون زيادة في الفائدة، ومما يولد المعاني في الجملة العربية ذكر القيود فكلما ذكرت قيدا تولَّد معنى جديد.[2]

(1) الأنبياء (16).
(2) الجملة العربية والمعنى (234).

المبحث الأول

أنماط استطالة الجملة الاسمية في السيرة

أولا: الاستطالة بالتداخل

ذكرنا في بداية هذا الفصل مفهوم التداخل وطرقه، وهنا نذكر الجملة الاسمية التي استطالت فيها الأركان بالتداخل، وهذه الاستطالة أنواع بحسب المركبات التي تدخل محل المبتدأ أو الخبر، والتداخل يكون بالآتي:-

أ – التداخل بالمصدر المؤول:

يستطيل أحد ركني الجملة الاسمية بالمصدر المؤول، فيأتي مبتدأ أو خبرا.

ومما جاء خبرا في السيرة قول ابن هشام عن أهل مصر «وصهرُهم أنّ رسول الله - ﷺ - تسرَرَ منهم»، [1] فقد جاء الخبر مركبا مصدريا، والتقدير «تَسَرُّرُ رسول الله منهم» إذ جاءت «أن واسمها وخبرها» في محل رفع خبر للمبتدأ صهرهم.

وفي الجملة تداخل من جانبين، بالمركب المصدري، وبخبر «أنّ» الذي جاء جملة فعلية: هي قوله «تسرر منهم».

ب – التداخل بالموصول وصلته:

ومن مثل هذه الاستطالة في القران الكريم قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ ﴾ [2] فقد استطال المبتدأ بصلة الموصول، وهي جملة تامة والجمل الفعلية المعطوفة {هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا}، وبقيد الجهاد بالظرف والمضاف إليه (معكم)، وجاء الخبر مستطيلا بجملة اسمية (فأولئك منكم)، وجاءت الفاء في الخبر؛ لأنّ (الذين) فيها معنى الشرط. [3]

ومما جاء الخبر فيه مستطيلا بصلة الموصول قول حسان:

قـــــومي الـــــذين هُـــــمُ آووا نَبِـــــيَهم

وصـــــــدقوه وأهـــــــلُ الأرض كفـــــــارُ [4]

---

(1) السيرة (38/1).
(2) الأنفال (75).
(3) معاني القرآن للأخفش (549/2).
(4) السيرة (275/2).

فقد استطال الخبر بالموصول وصلته وهي جملة «الذين هم آووا نبيهم» وجاء في صلة الموصول رابط يربطها بالمبتدأ، وهو الضمير في قوله «نبيهم»وجاءت جملة الصلة مستطيلة أيضا

وقد يستطيل المبتدأ بأدنى استطالة، ويحتاج إلى رابط لفظي، ومنه قول ابن إسحاق: «وتبان أسعد هو تبع الآخر»[1] إذ استطال المبتدأ بالتركيب المزجي، فجاء الرابط «هو» ليدعم رابطة الإسناد، ويعيّن الخبر.

ج- التداخل في الخبر بالجملة الاسمية:

وهذا التداخل لا يكون إلا في ركن الخبر، ومما جاء منه قول حسان:

هـــم مـــا هـــم مـــن لـــم يقـــلْ بهـــواهُم

وإنْ كـــــــانَ ذا رأيٍ يُلَـــــــمْ ويُفَنَّـــــــدِ[2]

فجملة «هم ما هم» اسمية جاء خبرها جملة اسمية وهي قوله:«ما هم» وهذا التركيب للتعظيم والتفخيم.[3]

ومن هذا النمط التداخل بجملة منسوخة بحرف، ومنه قول أبي سفيان: «أمّا هذه ـ والله ـ فإنّ في النفس فيها حتى الآن شيئاً»[4] فجملة (إن) ومتعلقاتها جاءت في ركن الخبر بعد القسم، الذي أفاد اعتراضه التوكيد.

---

(1) السيرة (52/1).
(2) السيرة (49/4).
(3) الجملة العربية والمعنى (278).
(4) السيرة (51/4).

د ـ التداخل بالجملة الفعلية:

وتأتي الجملة الفعلية خبرا للمبتدأ، ويكون في الجملة حينئذٍ تداخل بالجملة الفعلية، وهو نوعان بحسب الفعل:

1ـ **التداخل بجملة الفعل الناسخ ومتعلقاته، ومنه قول عمرو بن الحارث:**

كنّـــــا أناســـــاً كمـــــا كنـــــتم فغيرَنـــــا

دهـــــرٌ فـــــأنتم كمـــــا كنّـــــا تكونونـــــا [1]

فقد جاءت جملة «كما كنتم تكونونا» في ركن الخبر فحلت محله، وفيها تقديم وتأخير، والترتيب الأساسي للجملة «فأنتم تكونون كما كنا»، ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي:

أمـــــنَ المنـــــونِ ورَيْبِهـــــا تَتَوَجَّـــــعُ

والـــــدهرُ لـــــيس بِمُعْتِـــــبٍ مـــــن يَجْـــــزعُ [2]

فقد جاء خبر المبتدأ «الدهر» مستطيلا بالفعل الناسخ(ليس) ومتعلقاته.

2ـ **التداخل في الخبر بالفعل التام ومتعلقاته: وتأتي الجملة الفعلية خبراً وفعلها تام، ومنه:**

همـــــا نَـــــزَلا بـــــالبَرّ ثُـــــم تَرَّوحـــــا

فـــــأفلحَ مَـــــنْ أمســـــى رفيـــــقَ محمـــــدِ [3]

ومن النثر قول أبي بكر ﷺ: « بل نحن نفديك بأنفسنا وأموالنا يا رسول الله.»[4]

وقد يستطيل الخبر بالجملة الطلبية، وإن منع ذلك بعض النحويين، ولكنْ جوز بعض النحاة الإخبار بالجملة الطلبية، والقسمية، والشرطية.[5]

---

(1) السيرة (152/1).
(2) السيرة (2/ 98).
(3) السيرة (101/2).
(4) السيرة (306/4).
(5) الكواكب الدرية (187/1).

والجواز هو الأرجح عند الباحث لثبوته في السيرة، ومنه قول الحارث بن هشام:

أولئـــــك فابـــــكِ ثـــــم لا تبـــــكِ غيـــــرَهم

نـــــوائحُ تـــــدعو بالرَّزيَّـــــة والثّكـــــلِ [1]

فالمبتدأ «أولئك» جاء خبره الجملة الطلبية (فابك)، ومن النثر قول العباس: «وأنت فاكتميها» [2]، وفيه دليل على جواز دخول الفاء على الخبر من غير (أما)؛ إذا كان طلبياً، وقد هيأت هذه الفاء الانتقال من الاسم إلى فعل الأمر.

ومما يحتمل فيه التداخل بالفعلية قول أبو دجانة: «أنا آخذه بحقه»[3] وذلك إذا عُدَّ «آخذه» فعلا مضارعا، التقت الهمزتان فيه فُمدتا، إذ الأصل (أأخذه) [4]، أما إذا عُدَّ اسم فاعل مضافا إلى مفعوله فلا تداخل حينئذ.

هـ - التداخل بجملة مضافة إلى ظرف:

ويأتي التداخل بجملة مضافة إلى ظرف مفتقر إليها بعد (حيث) أو (إذ) أو غيرهما، وهذه الظروف تأتي متعلقة بأحد الركنين الأساسيين المبتدأ أو الخبر، ومنه قول خالد بن حق الشيبانيّ:

وكســـــــرى إذْ تَقَسَّـــــــمَه بنـــــــوه

بأســـــيافٍ كمـــــا اقتســـــم اللحـــــام

تَمَخَّضـــــتِ المنـــــونُ لـــــه بيـــــومٍ

أَنَـــــى ولكـــــلِّ حاملـــــةٍ تِمَـــــامُ [5]

فجملة «إذ تقسمه بنوه بأسياف كما اقتسم اللحام» تداخلت مع الجملة الاسمية الكبرى، والخبر استطال أيضا بجملة فعلية ومتعلقاتها ففي الجملة تداخل من ناحيتين، تداخل بالجملة المضافة إلى الظرف، وتداخل بالجملة الفعلية التي جاءت خبرا.

و- التداخل بالاعتراض:

وتأتى الجملة المعترضة بين متلازمين، وفي الجملة الاسمية تأتي بين المبتدأ والخبر، فهي جملة تدخل في تركيب جملة أخرى، لكن لا يكون لها محل.

وتأتى لإفادة الكلام تقوية وتسديدا وتحسينا[1]، فوظيفة الجملة المعترضة وظيفة زائدة عن المعنى الأساسي، فهي ليست جزءاً من بناء الجملة الأساسية، ومن الجمل التي

---

(1) السيرة (15/3).
(2) السيرة (220/2).
(3) السيرة (74/3).
(4) مغنى اللبيب (498).
(5) السيرة (1/ 104). وأنى: حان.

تكررت كثيراً في السيرة، جملة: ﷺ [2]، وجملة: ﷺ[3]، ومن غيرهما جملة: «فيما يزعمون»[4]، وجملة: « إن شاء الله». [5]

ومما جاء فيه الاعتراض بالقَسَم قول حذافة بن جمح:

قصيٌ ـ لعمري ـ كان يُدْعَى مُجَمِّعاً

بـــه جمَّـــع اللهُ القبائـــلَ مـــن فهـــرِ[6]

ثانياً: الاستطالة بالامتداد.

تمتد الجملة الاسمية بعناصر غير أساسية في البناء، ولكن قد تكون تلك العناصر ضرورية، والفرق بين التداخل والامتداد، أن التداخل هو حلول جملة مكان ركن إسنادي أو معترضة بينهما أو متعلقة بأحدهما، أما الامتداد فهو امتداد الاسمية بعناصر مفردة أو مركبة وليست جملا.

عناصر الاستطالة الممتدة في السيرة:

أ) شبه الجملة:

وهي الجار والمجرور، أو الظرف والمضاف إليه، وهذا المركب «شبه الجملة» يقيد المبتدأ وقد ذكر النحاة تعلق هذا المركب بالفعل إذا كان موجودا في الجملة.

أما إذا لم يكن في الجملة شيء مما يتعلق به شبه الجملة، فيقدر ذلك بـ(مستقر أو كائن) أو(استقر أو كان) [7]، وذلك إذا دلت شبه الجملة على الكون العام أي الوجود المجرد.

وأما إذا كان الكون خاصا فيجب ذكره ولا يحذف إلا لقرينة، [8] ومن تقييد المبتدأ بشبه الجملة التي تدل على الكون العام في السيرة قول مطرود الخزاعي:

ميْـــت بردمـــان، وميْـــت بسلـــ

ـــمان، وميْـــت عنـــد غـــزات[9]

---

(1) جامع الدروس العربية (289/3).
(2) السيرة (47،5/4).
(3) السيرة (99،142/4).
(4) السيرة (138/1).
(5) السيرة (36/1).
(6) السيرة (162/1).
(7) مغنى اللبيب (566).
(8) النحو الوافي (477/1).
(9) السيرة (175/1).

ومن تقييد شبه الجملة للمبتدأ في النثر قول الأخنس بن شريق: « قالوا:منا نبيٌّ.»[1]
وقد يتعدد الجار والمجرور لتجتمع على الكلام مقيدات متعددة، ومنه قول عباس بن مرداس:

منـــــــا بمكـــــــة يـــــــوم فـــــــتح محمد

ألـــفٌ تســـيل بـــه البطـــاح مُسَـــوَّم [2]

وقد جاء المبتدأ نكرة فتقدم عليه الخبر.

ب) الصفة (النعت):

والصفة تأتي للتقييد، وإن جاءت صفة للنكرة فهي مخصصة، وإن جاءت للمعرفة فهي موضحة. [3]

وأكثر ما يتقيد المبتدأ بالنعت في باب «الابتداء بالنكرة» إذ تكون النكرة موصوفة حتى يمكن الابتداء بها، فمما يسوغ الابتداء بالنكرة استطالة المبتدأ بالنعت.

و النعت هو قيد سواء أكان مفردا أم جملة، وجاء من القرآن من هذا قوله تعالى: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾.[4]

وذكر ابن مالك أن الذي سوغ الابتداء بالنكرة اعتمادها على واو الحال، وعلى رأيه يكون الخبر هو «قد أهمتهم أنفسهم»[5] وأما الفراء فقد ذهب إلى أن الخبر في الآية هو «يظنون بالله غير الحق» وجملة «قد أهمتهم أنفسهم»[6] نعت.

وهو الأرجح عند الباحث لأنها آخر عنصر يمكن أن يشغل تلك الوظيفة، ولا يوجد ما يحدد ذلك في الجملة. ولذلك يكون آخر عنصر هو الخبر، حيث تهيّئ الاستطالةُ بعد المبتدأ النكرةَ للابتداء بها، ويتم التقييد بتلك الاستطالة، ويكون العنصر الأخير هو الذي يتمم الفائدة.

ومثل ذلك: «رجلٌ صالحٌ كريمٌ يقول الخير»، فالخبر «يقول الخير» والسبب أنه لا يوجد ما يعين الخبر من ضمير فصل أو غيره، وهذا يرجحه السياق الذي لا يوجد فيه ما يحدد الخبر في مثل هذا التركيب، وهذا التركيب من باب توسيع المعاني.

ومنه في السيرة قول ابن هشام:«ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة» [1]، فالجملة الحالية بعد واو الحال استطال المبتدأ النكرة فيها بشبه جملتين «من قريش، في

---

(1) السيرة (353/1).
(2) السيرة (75/4).
(3) البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر ـ القاهرة، ط3/ ط3/ 1980م، (216/1)، (422/2).
(4) آل عمران (154).
(5) شواهد التوضيح والتصحيح على مشكلات الجامع الصحيح لابن مالك، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، عالم الكتب ـ بيروت، د.ت(45).
(6) معاني القرآن (240/1).

أنديتهم» والخبر هو «حول الكعبة»، ويحتمل أن تكون (في أنديتهم) هي الخبر، و(حول الكعبة) حال.

(1) السيرة (134/1).

ومن هذا النمط قول سامة بن لؤي:
ورب كـــأسٍ هرقـــت يـــا ابـــن لـــؤي

حـــذر المـــوت لـــم تكـــن مهراقـــه [1]

وقول البرّاض بن قيس:
وداهيـــــةٍ تهـــــم النـــــاس قبلـــــي

شـــددت لهـــا بنـــي بكـــر ضـــلوعي[2]

وقد جاء المبتدأ مجرورا في البيت الأول بـ(رُبَّ)، وهي تفيد التكثير أو التقليل بحسب السياق، [3]وفي البيت الثاني جاء مجرورا بالواو، والنحاة يتفقون في نيابة الواو عن (رُبَّ) مع البيت الوارد في السيرة. [4]

وقد جاءت النكرة موصوفة، والنحاة يتفقون في هذا أيضا مع ما ورد في السيرة، [5] ويعد بعض الباحثين هذا النمط مستقلا، ويسميه بنمط (المبتدأ المجرور)[6].

وأما استطالة الخبر بالنعت فمنه ما نسبه ابن إسحاق إلى أبي بكر ﷺ:
ونحـــــن أنـــــاس مـــــن ذؤابـــــة غالـــــب

لنـــا العـــزُّ منهـــا فـــي الفـــروعِ الأثائـــثِ [7]

ومن النثر قول ابن هشام عن يثرب: «هي مهاجرُ نبيٍ يخرجُ من هذا الحرمِ من قريشٍ في آخر الزمان، تكون دارَه وقرارَه)[8]، فقد تعدد النعت لـ (نبي) الذي تركب مع الخبر بالإضافة فأصبح جزءاً منه.

ج) الاستطالة بالحال:

قد يأتي الحال مع الجملة الاسمية، فيقيد الخبر، ومنه في السيرة قول زيد بن عمرو بن نفيل:
تـــــرى الأبـــــرارَ دارَهـــــم جِنـــــانٌ

---

(1) السيرة (134/1).
(2) السيرة (222/1).
(3) الكتاب (108/2).
(4) الإنصاف (376/1).
(5) الأصول في النحو (509/1).
(6) الجملة الخبرية في ديوان جرير، عبد الجليل العاني، جامعة بغداد،ط/ 1982م، (34).
(7) السيرة (205/2)، الأثائث: المجتمعة.
(8) السيرة (54/1).

وللكفَّـــــــارِ حاميـــــــةً ســـــــعيرُ[1]

فجاء الحال (حاميةً) من السعير، وقد قُدِّم الحال من السعير، إذ أصل الجملة: وللكفار سعيرٌ حاميةٌ، فالأصل أن (حامية) نعت، ولكن نعت النكرة إذا تقدم عليها نصب على الحال.[2]

د) الاستطالة بالاستثناء:

ويعد الاستثناء في حالة النصب تقييدا لطول الجملة، وحقيقته إخراج الاسم الذي بعد(إلاّ) مما قبله، من أن يتناوله الصدر،[3] ومنه في السيرة قول حسان:

قـــــومي الـــــذين هُـــــمُ آووا نَبِـــــيَّهمُ

وصـــــــدّقوه وأهـــــــلُ الأرضِ كُفّـــــــارُ

إلا خصـــــائصَ أقـــــوامٍ هُـــــمُ ســـــلفٌ

للصـــــالحينَ مـــــنَ الأنصـــــارِ أنصـــــارُ[4]

ويفسر الاستثناء في ضوء قرينة الإخراج، وهي قرينة معنوية تكون بإخراج المستثنى من الإسناد الذي قبل (إلا)، و يتضافر مع هذه القرينة قرينة لفظية هي(إلا).[5]

ومنه أيضا قول أمية بن أبي الصلت:

كـــلُّ ديـــنٍ يـــومَ القيامـــةِ عنـــد الله إلا ديـــنَ الحنيفـــةِ بُـــورُ[6]

فقد أخرج الدين الحنيف من البوار وهو «الهلاك» بالاستثناء.

ومن النثر قوله ﷺ: « ألا كلُّ مـأثُرَةٍ أو دمٍ أو مالٍ يُدّعى فهو تحت قدميَّ هاتين إلا سدانةَ البيتِ وسقايةَ الحاجّ.»[7]

هـ) التوكيد:

من معاني التوكيد اللغوية: التوثيق والقصد وإخراج الشك، وكل هذه المعاني مقصودة في التوكيد؛لأنه يفيد تقرير الحكم وتمكينه في ذهن السامع، ويكون بالأسماء أو الأفعال أو الحروف، وقد تفننت العرب فيه وجاءت به على صور متعددة.

وفي الاصطلاح: هو التابع المخصوص الرافع احتمال إرادة غير الظاهر، وهو نوعان: لفظي ومعنوي.

---

(1) السيرة (263/1).
(2) الروض الأنف (258/1).
(3) الكتاب (310/1).
(4) السيرة (275/2).
(5) اللغة العربية معناها ومبناها (199،200).
(6) السيرة (94/1).
(7) السيرة (60/4).

فاللفظي: يكون بإعادة اللفظ بعينه سواء أكان اسما أم فعلا أم حرفا.

والتوكيد اللفظي فيه تقوية للمعنى، وفي تقويته بإعادة اللفظ رفع احتمال التجوز، أو توهم التجوز بمعنى من المعاني فيصير بذلك تقييدا.

والمعنوي: يكون بألفاظ معينة، هي: نفس وكلّ وجميع وأجمع و أكتع، والتوكيد المعنوي تقييد للمؤكد؛ لأنه يرفع احتمال إرادة غير الظاهر. [1]

ومن التوكيد اللفظي قوله ﷺ: «يا معشر المسلمين اللهَ اللهَ أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم.» [2]

وقول ورقة بن نوفل «قدوسٌ قدوسٌ» [3] إذ جاءت الكلمة الثانية توكيدا لفظيا للخبر الذي مبتدأه مقدر.

ومن توكيد الجملة الاسمية بأخرى توكيدا لفظيا [4] ما جاء في الأذان: «الله أكبر الله أكبر.» [5]

ومن التوكيد المعنوي قول ابن إسحاق: «وإسماعيل أبو العرب كلِّهم» [6]، وقوله: «فالعرب كلُّها من ولد إسماعيل.» [7]

وقد جاء التوكيد بـ(أكتع) وحدها في الشعر من غير (أجمع) وهو غريب عند النحاة، وإنما تأتي تبعا لأجمع، [8] وذلك من قول عثمان بن مظعون:

أتيمَ ابنِ عمرو للّذي جاءَ بِغْضَةً

ومن دونه الشَّرْمانُ والبَرْكُ أكتعُ [9]

ومما ورد فيه التوكيد بـ(أجمع) قول عثمان بن مظعون:

تريشُ نِبالا لا يُواتِيكَ رَيْشُها

وتَبْري نبالا رَيشُها لكَ أجمعُ [10]

و) التمييز:

التمييز من المقيدات بما يرفعه من لبس وإبهام، ومن مصطلحاته: التمييز والتفسير والتبيين، ووظيفته رفع الإبهام وإزالة اللبس. [1]

---

(1) لسان العرب،(وكد)، (383/15)، شرح المفصل (40/3)، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة، د.ت (73/3)، في بناء الجملة (89).

(2) السيرة (169/2).

(3) السيرة (274/1).

(4) شرح قطر الندى لابن هشام الأنصاري،تح: محمد محيي الدين عبد الحميد،دار إحياء التراث ـ بيروت،ط11، (292).

(5) السيرة (122/2).

(6) السيرة (39/1).

(7) السيرة (39/1).

(8) شرح الأشموني (76/2).

(9) السيرة (369/1)، الشرمان: موضع، البرك: جماعة الإبل الباركة.

(10) السيرة (370/1)، الرَّيش: النفع.

ويأتي التمييز في الجملة الاسمية غالبا من التمييز المحول، ومنه في السيرة مع اسم التفضيل قول الأنصار عن سعد بن معاذ: « أفضلنا رأياً وأيمننا نقيبةً»، [2]، والمبتدأ في الجملة مقدر يدل عليه السياق.

ومنه قول ابن إسحاق: «وهو يومئذ أحدث إخوته سناً»[3]، وبعض النحاة يختلفون مع هذا التركيب الوارد في السيرة؛ إذ لا يجيزون إضافة اسم التفضيل إلى ما هو بعضه. [4]

ويترجح عند الباحث جواز هذا التركيب لوروده مراراً في السيرة[5]، ولأن الممنوع عند النحاة إنما هو إضافة أفعل التفضيل إلى التثنية، مثل: هو أكرم أخويه. [6]

ز) البدل:

البدل هو التابع المقصود بالحكم أو بالنسبة بلا واسطة، ويكون مقيدا للمبدل منه، ويقصد به الإيضاح بعد الإبهام، وهو يفيد البيان والتوكيد أيضا [7].

ومنه في السيرة قول حذيفة بن غانم:

بَنُوه سَراةٌ كَهْلُهم وشُبابُهم

تَفَلّقُ عنهم بيضةُ الطائرِ الصَّقرِ [8]

فـ(كهلهم) بدل بعض من كل.

ومن البدل في النثر قول نفيل بن حبيب الخثعمي: «هاتان يداي لك علي قبيلي خثعم: (شهران، وناهس) بالسمع والطاعة» [9]

(فيداي) بدل من (هاتان)، بدل كل من كل، و (شهران) بدل من (خثعم)، بدل بعض من كل.

ومنه قول ابن إسحاق: «ومن بني ساعدة كعب بن الخزرج، ثم من بني ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة أبو دجانة: سِماكُ بنُ خَرَشَةَ.» [10]

ثالثا: التعدد في الاستطالة:

---

(1) شرح المفصل (170/2).
(2) السيرة (50/2)، وانظر (226/1،220،212).
(3) السيرة (216/1).
(4) شرح المفصل (8/3)، حاشية الصبان (50/3).
(5) السيرة (376/1،249،219).
(6) الروض الأنف (203/1).
(7) البرهان في علوم القرآن (453/2)، المصطلحات النحوية (20)، في بناء الجملة (89).
(8) السيرة (212/1).
(9) السيرة (79/1).
(10) السيرة (308/2).

قد تتعدد الاستطالة في الجملة الواحدة بأشكال مختلفة في آن واحد، مثل الجار والمجرور والنعت والبدل، وغيرها من الوظائف الأخرى، وقد تتعدد الاستطالة وهي من نفس النوع.

و هذا التعدد تعود فائدته على المعنى، ومن الوظائف النحوية التي تتعدد في الجملة العربية:

1- العطف:

وقد يتعدد بعد المبتدأ أو بعد الخبر في الجملة الاسمية، ومن تعدده بعد المبتدأ في السيرة قول ابن إسحاق: «وقريظةُ والنَّضيرُ والنَّحَّامُ وعَمْرُو - وهو هَدَل- بنو الخزرج.»[1]

ومما تعدد فيه العطف بعد الخبر قول ابن هشام عن أبناء النبي ﷺ:

« وأكبر بنيه القاسمُ ثُم الطِّيبُ ثُم الطَّاهر، وأكبر بناته رقيةُ ثُم زينبُ ثُم أمُّ كُلْثومَ ثُم فاطمةُ.»[2]

2- تعدد الخبر:

الخبر هو الذي تتم به الفائدة في الجملة، وقد اختلف النحاة في تعدده، فأجازه بعضهم ومنعه آخرون، وفسروا ما جاء منه على العطف بحرف مقدر.[3]

والراجح جواز تعدده لثبوته في القرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥﴾[4].

فالفائدة تتم بالخبر الأول، ولكن تأتي الأخبار الأخرى لاستقصاء المعاني وتوسيعها، ففي كل خبر معنى لا يوجد في غيره.

ومما جاء في السيرة النبوية من تعدد الخبر قول كعب بن مالك:

ألا يـــــا هنـــــدُ فـــــابكي لا تَمَلِّـــــي

فأنـــــتِ الوالـــــهُ العَبْـــــرى الهبـــــولُ[5]

وقوله:

أبـــــو يعلـــــى لـــــك الأركـــــانُ هُـــــدَّت

وأنـــــتَ الماجـــــدُ البَـــــرُّ الوَصـــــولُ[6]

3- تعدد النعت:

---

(1) السيرة (54/1)، (60/4).
(2) السيرة (227/1).
(3) النحو الوافي (528/1).
(4) البروج (14،15).
(5) السيرة (180/3)، الواله: الفاقد، العبري: الكثيرة الدمع، الهبول: الفاقد.
(6) السيرة (180/3)،(162/3).

والنعت يتعدد في الجملة العربية مفردا أو جملة، ومن تعدده مفردا في السيرة قول ضرار بن الخطاب:

نحـــــنُ بنـــــو الشـــــيخِ الهجـــــانِ الأزْهـــــرِ

قُضـــــاعةَ بـــــنِ مالـــــكِ بـــــنِ حِمْيَـــــرِ[1]

ويمكن أن يكون من تعدد النعت المفرد في النثر ما ذكره ابن هشام من الأنساب، ومنها نسب النبي - ﷺ - [2] حيث تكررت كلمة (ابن) في هذه الجمل، وقد تعرب نعتا لأنه حذف منها الألف ولم ينون ما قبلها[3].

ومن تعدد النعت وهو جملة قول أحد أحبار يهود عن المدينة:« هي مُهاجَرُ نبيٍّ يَخرجُ من هذا الحرمِ من قريشٍ، في آخرِ الزمانِ تكون دارَه وقرارَه.»[4]

فقد تعدد النعت لكلمة (نبي) بالجملة الفعلية (يخرج من هذا الحرم)، وبشبه الجملة (من قريش).

4- تعدد المضاف:

في التركيب الإضافي تكون الكلمة الثانية قيدا للأولى، فإذا قلت: (كتاب زيد) قيدتَ ملكية الكتاب بأنها لزيد، وإذا قلت: (كتاب طالبٍ) فقد قيدت المضاف بتخصيصه بأنه لطالب؛ لأن الإضافة إلى المعرفة تفيد المضاف إليه التعريف، والإضافة إلى النكرة تفيده التخصيص.

وهذه الوظيفة قد تتعدد في الجملة العربية، وقد جاء من تعدد المضاف في السيرة قول- ﷺ- في وصف الكوثر:« نهرٌ كما بين صنعاءَ إلى أيلة، آنيته كعددِ نجومِ السماءِ.»[5] حيث توالت ثلاثة مضافات هي (عدد نجوم السماء).

المبحث الثاني

عوارض بناء الجملة الاسمية

البنية الأساسية للجملة: هي البنية التجريدية الذهنية، أوهي التصور الذهني لما يجب أن يكون عليه بناء الجملة، وبناء الجملة: هو الصورة اللفظية والمنطوقة للجملة.[6]

---

(1) السيرة (44/1).
(2) السيرة (33/1).
(3) الجملة العربية تأليفها وأقسامها (134/2).
(4) السيرة (54/1).
(5)السيرة (8/2).
(6) في بناء الجملة (346).

إذن فهناك علاقة بين البنية الأساسية للجملة وبين بناء الجملة، فالثانية صورة منطوقة للبنية الأساسية، والبنية الأساسية هي التي ينبغي أن تُنْتَج في ضوئها الجمل.

فإذا حصل توافق بين البنية الأساسية وبناء الجملة (الجملة المنطوقة)، فجاء المسند والمسند إليه معا بحسب الترتيب الأصلي فإن البناء يكون بحسب الأصل، ولا يوجد في الجملة عوارض بناء.

وإذا حصل اختلاف بينهما، فجاء أحد المسندين من دون الآخر في ظاهر اللفظ، أو جاءا معا على غير الترتيب الأصلي، فإنه قد عرض للجملة عارض في البناء، ففي الصورة الأولى العارض هو الحذف، وفي الثانية التقديم و التأخير.

إذن فعوارض البناء هي: مجيء الجملة المنطوقة على خلاف البنية الأساسية، أو هي ما يحدث من حذف لأحد المسندين، أو تقديم لأحدهما عن الآخر في البنية المنطوقة.

أولاً: الحذف:

قد يظهر بناء الجملة وهو غير مستوفٍ للعنصرين الإسناديين اللذين اشترط النحاة أن تتكون الجملة منهما؛ولذلك يقدرونه في مثل هذه الحالة محذوفاً.

وإذا ظهر هذا العنصر المحذوف في تركيب آخر، جعلوا الحذف جائزاً، وإذا لم يظهر أبدا فإنهم يجعلونه حذفاً واجباً، وسيبويه يسمي هذا النوع بـ(المتروك إظهاره) [1]، وهي تسمية اضبط وأدق، والحذف تدل عليه قرائن معنوية أو مقالية، ويكون في حذف الشيء معنى لا يوجد في ذكره.[2]

وقد كثر الحذف في السيرة؛ لأنها قامت على سرد أحداث وعرض مواقف، واحتوت على مواقف حوارية، وهي مما يكثر فيها الحذف لغرض الإيجاز.

1. من الحذف الجائز

أ- حذف المبتدأ

كثر حذف المبتدأ جوازاً في جواب الاستفهام في السيرة و يتفق النحاة في هذا مع ما ورد في السيرة، ومنه ما دار بين العباس بن عبد المطلب وأبي سفيان: «قال يا عباس من هذه؟ فأقول: سُليم، فيقول من هؤلاء؟ فأقول: مُزينة.»[3]؛ إذْ حُذف المبتدأ لدلالة الكلام عليه، ويقدر بحسب السياق بـ(هذه).

1. حذف المبتدأ بعد القول: من المواطن التي يحذف فيها المبتدأ جوازاً بعد القول، ومنه في السيرة ما ذكره ابن إسحاق عن بعض الأنصار، وقولهم لسعد بن معاذ: «قال: كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأوصلنا.»[4]

فالمبتدأ محذوف في هذا التركيب ويقدر بحسب السياق بـ(أنت)، والغالب في غرض الحذف هنا الإيجاز، والبعد عن التكرار.

---

(1) السابق (346).
(2) الكتاب (197/1).
(3) السيرة (52/4).
(4) السيرة (52/2)، (49/4).

ومنه قالوا يا رسول الله: «عضل والقارة »[1]، أهي أمرهم عضل والقارة، أو هم عضل والقارة، والغرض هنا من الحذف ليس الإيجاز، وإنما هو للكناية، والإبهام.

2. حذف المبتدأ بعد فاء الجواب: ومن المواطن الذي ظهر فيها للباحث حذف المبتدأ جوازاً، بعد فاء الجواب في أسلوب الشرط كما جاء من قول سعد بن عبادة: «إن يكن عند أحدٍ منْ القومِ خيرٌ فعند هؤلاء.»[2]
3. حذف المبتدأ في العنوانات: ومن المواطن التي ظهر للباحث فيها حذف المبتدأ جوازاً (العنوانات) في السيرة.

(1) السيرة (245/3).
(2) السيرة (63/2)، وانظر(156/1).

ويتفق ما قاله النحاة من مواطن حذف المبتدأ جوازاً مع التي وردت في السيرة.[1]

4. حذف المبتدأ مع (لا): جاء في السيرة قوله ﷺ «لا سواء»[2]، ويوجب بعض العلماء الحذف في هذا التركيب، وحجتهم أن (لا) إنما يحذف معها المبتدأ إذا تكررت، وأنها لا تدخل على المعرفة[3].

والذي يترجح عند الباحث أن هذا من الحذف الجائز، وقد قال به أحد العلماء[4]؛ وذلك لأنه يجوز دخول (لا)على المعرفة وإن لم تتكرر.

5. الحذف مع (إذا) الفجائية: مما جاء في السيرة من هذا قول أبي دجانة: «رأيت إنسانا يَخْمِشُ النَّاس خمشاً فلما حملتُ عليه السيفَ وَلْوَل، فإذا امرأةٌ.»[5]

يرى ابن هشام أنه يحذف الخبر جوازا مع (إذا) بكثرة مثل: (خرجت فإذا الأسد)، والتقدير (فإذا الأسد حاضر)[6]، وعلل صحة ذلك التقدير بقوله: يصح هذا فيما إذا كان الكلام قبلها غير متعلق في المعنى بما بعدها، فالخروج ليس له علاقة بالأسد، فجاء قبلها جملة فعلية، وبعدها جملة اسمية.[7]

وقد ذكر ابن مالك من مسوغات الابتداء بالنكرة الاعتماد على (إذا) الفجائية، قال: «من القرائن التي تتحصل بها الفائدة الاعتماد على إذا المفاجأة كقولك:انطلقت فإذا سبع في الطريق، وأتيت زيدا فإذا رجل يخاصمه، ومنه قول أحد الصحابة: إذا رجل يصلي، ومثله: دخل النبي - ﷺ - فإذا حبل ممدود.»[8]

والذي نقوله أنّ المفاجأة تفقدك في المواقف تفصيل الكلام، ولكن لا ينبغي أن يطلق ذلك التقدير الذي ذكره ابن هشام في كل الأحوال.

فلو قدرنا على تقدير ابن هشام في عبارة السيرة وقلنا: فإذا امرأة حاضرةٌ، فالكلام لم يتم، فما تصنع هذه المرأة؟ فيحتمل أن تكون كلمة (حاضرة) صفةً لا خبراً.

وإنما الأرجح أن يقدر المحذوف بحسب السياق وهو:(فإذا هي امرأة)، أو(فإذا ذلك امرأة)، فيكون المقدر المبتدأ وليس الخبر.

ومن هذا في السيرة قول ابن إسحاق:«فإذا برجل فأناخ به، فإذا شيخٌ كبير، وإذا هو دريد بن الصمة.» [9]

فقد جاء في العبارة حذف في موضعين(فإذا برجل، و فإذا بشيخ)، وموضع ليس فيه حذف وهو (إذا هو دريد بن الصمة)، فدل الموضع الذي ليس فيه حذف على أن المحذوف في موضعي الحذف هو المبتدأ، وليس الخبر، فما قاله ابن هشام ليس لازما.

---

(1) انظر: مغني اللبيب (321)، أوضح المسالك (216/1).
(2) السيرة (104/3).
(3) الروض الأنف (179/13)، النحو الوافي (518/1).
(4) النحو الوافي (518/1).
(5) السيرة (77/3).
(6) مغنى اللبيب (121)، أوضح المسالك (220/1).
(7) مغني اللبيب (121).
(8) شواهد التوضيح، (44،45).
(9) السيرة (103/4).

ونخلص من ذلك إلى أن (إذا) الفجائية يحذف بعدها أحد أركان الجملة جوازا، فقد يكون المحذوف هو المبتدأ كما في الأمثلة السابقة، وقد يكون هو الخبر كما قال ابن هشام.

والكلمة التي تظهر بعد (إذا) لها أثر كبير في تحديد المحذوف، فإذا كانت معرفة أو نكرة موصوفة فهي مبتدأ والمحذوف هو الخبر، وإذا كانت نكرة ليس معها صفة فالمحذوف هو المبتدأ، والله أعلم.

ب ـ حذف الخبر.

ويحذف الخبر جوازا أيضا لدلالة السياق عليه، ومنه قول أعشى بني قيس:

أجـــــارتكم بَسْـــــلٌ علينـــــا مُحـــــرَّمٌ

وجارتُنـــــا حِـــــلٌّ لكـــــم وحليلُهـــــا [1]

أي: وحليلها حل لكم، ومن النثر قولهﷺ: «وإنَّ الله جارٌ لِمن برَّ واتّقى، ومحمدٌ رسول الله - ﷺ - » [2] والتقدير: (جار لمن بر واتقى).

(1) السيرة (139/1).
(2) السيرة (118/2).

2. من الحذف الواجب:

ومن المواطن التي يظهر فيها وجوب حذف أحد الركنين الأساسيين في الجملة الاسمية هي:

أ) حذف المبتدأ مع المصدر الذي أقيم مقام الفعل:

قال النحاة إن المبتدأ يحذف وجوبا إذا أخبر عنه بمصدر جيء به بدلا من اللفظ بفعله نحو: (سمعٌ وطاعةٌ)[1] ومنه قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾.[2]

ومما جاء في السيرة قول امرأة جابر بن عبدالله: «دونك فسمعٌ وطاعةٌ»[3]، وأصل (سمع وطاعة) عند النحاة مصدر منصوب بفعل محذوف وجوبا، وهو من المصادر التي جيء بها بدلا من أفعالها، لكنهم قصدوا به الثبوت والدوام فرفعوه وجُعل خبرا عن مبتدأ محذوف وجوبا، حملا للرفع على النصب أي أمري سمع وطاعة.[4]

وهذا التركيب يدل على تلبس المتكلم بتلك الصفة، فإن قالها بالرفع فهي على جهة الثبوت والدوام، وإن قالها بالنصب (سمعاً وطاعةً) فهي على جهة التجدد والحدوث؛ ولذلك ربط النحاة الوجه الأول بالجملة الاسمية؛ لأن الاسم يدل على الثبوت والاستمرار، ربطوا الوجه الثاني بالجملة الفعلية؛ لأن الفعل يدل على التجدد والحدوث، وإنما المعنى في العبارتين واحد.

وهذا البناء يعد جملة تامة المعنى، ولا يشترط ظهور ركني الإسناد في الجملة لتمام معناها.

ولم يظهر في هذا التركيب إلا ركن واحد من ركني الإسناد؛ لذلك قدر النحاة الركن الآخر بحسب البنية الأساسية للجملة؛ ليستقيم هذا البناء مع قواعدهم.

ب) الحذف في أسلوب القسم:

جعل العلماء القسَم جملتين: جملة القسم وجملة جواب القسم، وجملة القسم يأتي فيها أحد الركنين الإسناديين محذوفا وجوبا، فقد يحذف الخبر وجوبا، ومنه في السيرة قول ربيعة بن عبد ياليل:

لعمـــــرُك مـــــا لِلْفتـــــى مـــــن مَفَـــــر

مـــــع المـــــوتِ يلحقُـــــه والكِبَـــــر[5]

فاللام لام الابتداء، و(عمرك) لفظ صريح في القسم وهو مبتدأ، وخبره محذوف وجوبا، وقد يكون المبتدأ هو المحذوف في جملة القسم، وذلك إذا كان القسم بحرف قسم واسم مجرور، ومنه في السيرة قول الوليد بن المغيرة: «والله إنَّ لقوله لحلاوة.»[6]

---

(1) أوضح المسالك (217/1).
(2) يوسف (18)
(3) السيرة (229/3).
(4) الكفاف، يوسف صيداوي، دار الفكر - بيروت، ط1/1999م، (916/2).
(5) السيرة (72/1).
(6) السيرة (307/1).

3. مواطن ليس فيها حذف:

هناك تراكيب جعل النحاة فيها حذفا واجبا؛لأنه لم يظهر فيها أحد الركنين الإسناديين، وفسروا ذلك بحسب البنية الأصلية للجملة، ويمكن أن تفسر تلك التراكيب على غير ذلك، فهي ليس فيها حذف كما يقولون، وهذه المواضع هي:

1. النعت المقطوع:

يوجب العلماء حذف المبتدأ فيما يسمونه بالنعت المقطوع، والنعت قد يقطع عن منعوته إلى الرفع أو النصب، ولكل حالة قدروا ما يناسبها، فإذا قطع إلى الرفع قدروه خبرا لمبتدأ محذوف وجوبا، وإذا قطع إلى النصب قدروه مفعولاً لفعل محذوف وجوبا.

وجاء في السيرة قول ضرار بن الخطاب:

ومـــا انتميـــتُ إلـــى خـــورٍ ولا كُشُـــفٍ

ولا لئـــــامٍ غـــــداة البـــــأس أوراع

بـــل ضـــاربين حبيـــك البـــيض إذْ لحقـــوا

شـــمِّ العـــرانين عنـــد المـــوت لُـــذّاع

شـــــمٌ بهاليـــــلُ مســـــترخٍ حمـــــائلهم

يســـعون للمـــوت ســـعياً غيـــرَ دعـــداعِ [1]

(1) السيرة (162/3).

وجاء في النثر قول ابن إسحاق: «وكان اللواء مع صؤابٍ، غلامٌ لبني طلحة.»[1]

ويترجح عند الباحث أن هذا التركيب ينبغي أن يفسر في ضوء قرينة المخالفة، وهي قرينة لفظية تتحقق من خلال العلامة، التي تدل على وظيفة مخالفة للوظيفة التي قبلها.[2]

ويلاحظ في الأمثلة أنه قطعت (شم) و(غلام) عما قبلهما، فجُعِلا مرفوعين، والسياق الطبيعي لهما أن يكونا مجرورين.

وحقيقة النعت المقطوع أنه إذا قطع إلى الرفع فإن المتكلم أراد بتلك الصفة أنها على جهة الثبوت والاستمرار، وإذا قطعها إلى النصب فقد أراد بها أنها على جهة التجدد والحدوث.

2. مع واو المعية:

يأتي حرف (الواو) في العطف لإشراك ما بعده في حكم ما قبله مثل: جاء محمد وعلي، فعلي اشترك مع محمد في المجيء، وقد لا يتحقق هذا الشرط فتخرج هذه الواو من العطف إلى المعية فعندما تقول:(الفلاح وحقلُه) بالرفع ثم تسكت فالكلام غير تام، وعندما تقول:(الفلاح وحقلَه)، بالنصب كلام تام في عرف النحاة؛لأنهم يقدرون الخبر محذوفا وجوبا، وتقديره عندهم(مقترنان).[3]

وجاء من هذا البناء في السيرة قولهﷺ: «أنت وذاك» [4] وقول أبي شريح الخزاعي: «أنت وشأنك».[5]

ويترجح عند الباحث في مثل هذا البناء عدم الحاجة لتقدير خبر؛ لأن العلماء قالوا بتمام المعنى في الجملة، والسياق يدل على ذلك أيضا، وتمام المعنى هو الأصل في حد الجملة، وليس وجود المسنَدين.

ويكون المفعول معه سادا مسد الخبر، وقد استغنى المبتدأ به عن الخبر، وقد نسب هذا القول إلى الأخفش والكوفيين، واختاره ابن عصفور.[6]

---

(1) السيرة (87/3).
(2) اللغة العربية معناها ومبناها (201).
(3) ابن عقيل (35/1).
(4) السيرة (83/1،333)، (247/3).
(5) السيرة (64/4).
(6) شرح الأشموني (217/1)، وابن عقيل (35/1).

3. الحذف مع (نعم وبئس)

يوجب بعض العلماء حذف المبتدأ في أسلوب المدح والذم مع (نعم وبئس) إذا تأخر المخصوص بالمدح أو الذم.[1]

وعلى هذا فهو عندهم يتكون من جملتين، الأولى فعلية تتكون من الفعل (نعم أو بئس) والفاعل، والثانية اسمية تتكون عندهم من المبتدأ المحذوف وجوبا، والخبر الذي هو المخصوص بالمدح أو بالذم، وجاء في السيرة قول جرير:

لـــــــولا جريـــــــر هلكـــــــت بجيلـــــــة

نعـــــم الفتـــــى وبئســـــت القبيلـــــة [2]

و قول دريد بن الصمة عن أوطاس: «نعم مجال الخيل»، [3]والمخصوص بالمدح محذوف، فإذا قدرنا المبتدأ كما قال النحاة نكون قد قدرنا جملة كاملة، وهذا غير مستساغ.

وأما ما ادعاه النحاة في الوجه الآخر من حذف المبتدأ وجوبا فلا أساس له، وقد أشار ابن الشجري إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [4] إذ قال «أراد نعم العبد سليمان، سليمان، ونعم العبد أيوب، ولكن المقصود بالمدح قد حذف تخفيفا إذا تقدم ذكره، وحذفه يقوي قول من يرى رفعه بالابتداء لأنك إن جعلته خبر مبتدأ مقدر؛كان الحذف واقعا بجملة وحذف المفرد أسهل من حذف الجملة.» [5]

وبذلك يترجح عند الباحث أنه لا يوجد حذف مع (نعم وبئس) إذا تأخر المخصوص بالمدح أو الذم، وإنما في الجملة تقديم وتأخير فقط.

---

(1) النحو الوافي (512/1).
(2) السيرة (109/1).
(3) السيرة (87/4)
(4) سورة ص (30، 44).
(5) الأمالي الشجرية لهبة الدين علي بن حمزة العلوي المعروف بابن الشجري، دار المعرفة ـ بيروت، د. د. ت، (55/1).

ثانيا: تغيير الرتبة

تغيير الرتبة هو تقديم أحد عنصري الإسناد في الجملة المنطوقة أو تأخيره، ويعتمد ذلك على فكرة البنية الأساسية للجملة، فلا يمكن الحكم على عنصر ما في الجملة بأنه مقدم من تأخير، أو مؤخر من تقديم إلا إذا كانت بنية الجملة الأساسية تحكم بوضع هذا العنصر أو ذاك في موضع معين أو رتبة محددة.[1]

ومن مواضع تقديم الخبر وجوبا:

1. أن يكون المبتدأ نكرة ليس لها مسوغ إلا تقدم الخبر، وهو ظرف أو جار ومجرور، ومنه في السيرة قول عباس بن مرداس:

منـــــا بمكـــــةَ يـــــوم فـــــتحِ محمـــــدٍ

ألـــفٌ تســـيل بـــه البطـــاحُ مُسَـــوَّمُ [2]

ومن النثر قول سلامة بن وقش: «عليَّ بردةٌ لي»[3]، وقول ابن إسحاق: «ومن بني عبد الدار.. رجلان».[4]

2. أن يكون الخبر له صدر الكلام نحو:(أين زيد؟)، وقد جاء منه في سياق الاستفهام في السيرة: «من هذا؟ من هؤلاء ؟»[5]، «وعلام هو ؟.»[6]
3. أن يكون الخبر دالا على ما يفهم بالتقديم، ولا يفهم بالتأخير نحو:(لله درك) وقد جاء من هذا في السيرة قول حسان:

للهِ درُّ عصـــــــــــــــابةٍ لاقيـــــــــــــــتهم

يـــا ابـــن الحُقيـــق وأنـــت يـــا بـــنَ الأشـــرفِ [7]

وأكثر صور تقديم الخبر في سيرة ابن هشام تقديم شبه الجملة، ولاسيما الجار والمجرور.

4. ويتقدم الخبر على المبتدأ وجوبا إذا كان في المبتدأ ضمير يعود على الخبر، ومنه في السيرة قول ابن إسحاق: «فنزلﷺ تحت شجرة.. يقال لها ذاتُ ساق فصلَّى عندها فثَمّ مسجده.»[8]

---

(1) في بناء الجملة (324).
(2) السيرة (75/4).
(3) السيرة (249/1).
(4) السيرة (6/3).
(5) السيرة (51/4، 52).
(6) السيرة (98/1).
(7) السيرة (64/3)، (36/3).
(8) السيرة (211/2).